المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
2020 سبتمبر
Volume (15)
العدد (15)
September 2020
IJOHSS

هل تكون "إلّا" بمعنى الواو؟ فَحْص في القَوْل والنِّسْبَة في ظلال الإنصاف

د. آلاء علي عبد الله العنبكي
كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة
alaaali@alkadhum-col.edu.iq

الملخّص
تحاول هذه الدراسة الوقوف عند مصدر يعدّ من مصادر النحو العربي الأمهات وتناول إحدى مسائلة التي تضمنها، ذلك هو كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين، والكوفيين) ومهمة هذه الدراسة الوقوف عند إحدى مسائله الخلافية وهي المسألة (35) منه وهي (هل تكون "إلا" بمعنى الواو؟) من أجل فحصها ومتابعة أصلها والقائلين بها ومن ثم التحقيق في صحة تلك الأقوال. لذلك جاء البحث مقسماً على محاور رئيسة تضمنت عرض آراء النحويين البصريين والكوفيين فيها، والوقوف عند حججهم، وردّ الأنباري لحجج الكوفيين ، ومن ثم تقديم فحص ومراجعة موثّقة لتلك الأقوال من خلال الاعتماد على المصادر الأمهات.

الكلمات المفتاحية: النحويين، إلّا، ظلال الإنصاف.

Examine the word ؟Is it "except" in the sense of waw and lineage in the shadows of Alinsaaf

Dr. Alaa Ali Abdullah Alanbaky
Imam Al-Kadhum College of Islamic Sciences University
Email: alaaali@alkadhum-col.edu.iq

ABSTRACT
This study tries to identify one of the sources of Arabic grammar by mothers and deal with one of the questions that it contains, that is the book (Equity in matters of disagreement between the two grammarians: the Basrien and the Kufians) and the task of this study is to address one of its controversial issues, which is the issue (35) of it, which is (Is It is "except" in the sense of waw?) In order to examine it and follow up on its origin and those who say it, and then investigate the validity of those statements. Therefore, the research was divided into main axes that included presenting the views of the visual and Kufian grammarians about them, standing up to their arguments, and Anbari's response to the arguments of the Kufists, and then providing a documented examination and review of those statements by relying on the mothers' sources.

Keywords: grammarians, except, shadows of Alinsaaf.

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.135

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

مقدّمة البحث

الاختلاف والخلاف من طبائع الوجود، فلولا الاختلاف لتشابه المحتوى الكوني، ولولا الخلاف لتصالحت الآراء والرؤى وانتفى التخاصم وعمّ التوافق، وهذا ما يتضاد وطبيعة الوجود. والعلم والمعرفة باب من أبواب تمثّلات ذلك الاختلاف والخلاف، كونهما – أي العلم والمعرفة- من أولويات اشتغال الانسان ومن عيّنات اهتمامه.

وعيّنة هذه العلوم والمعارف ما يتعلّق منها باللغة التي تمثّل هويته ودليل انتمائه . ومن هنا عُني العرب بلغتهم منذ القدم ونالت لديهم حظوتها، فجاءت دراساتهم وتنقيباتهم فيها، والنحو العربي كان في مقدمة عنايتهم واهتمامهم فتناولوه بالحفر والبحث كشفاً عن مكامن جواهر اللغة العربية، وبياناً لعظمتها وسموّ شأنها ؛ إذ إنها اللغة التي اختارها الله تعالى لقرآنه الكريم. ونتيجة تلك العناية والتقديم للنحو العربيّ، تعدّدت الآراء وتباينت الوجهات التي تفسّره، فانقسم العلماء العرب على فئات حسب توجهاتهم وأقوالهم، فظهرت مدارس نحوية، وفي مقدمتها المدرسة البصرية والكوفية، فكان لكل مدرسة قواعدها وأصولها ومنهاجها في دراسة النحو العربيّ، فتوحّدت تلك المدرستان في المادة واختلفتا في طريقة الدراسة والمنهج.

وقد حاول أبو البركات الأنباري (ت 577 ه) دراسة المسائل التي اختلف بها الطرفان (المدرسة البصرية والكوفية) من خلال عرض آراء الفريقين بكل مسألة، وردِّ أحدهما – وغالباً ما كان يردّ أهل الكوفة – أو كلاهما. ونحن في دراستنا هذه نحاول الوقوف على مسألة من المسائل التي تناولها الأنباريّ وأوردها ضمن مسائل الخلاف وهي مسألة (هل تكون " إلَّا " بمعنى الواو ؟) من خلال محاور بحثية تضمّنت: متابعة أوجه الخلاف فيها، ورد الأنباري، ورأيه فيها، وسبر اغوار هذه المسألة وفحص الأقوال التي قيلت فيها ومدى منطقيتها ومصدريتها. والله المستعان.

1: بين يدي المسألة: بين الآراء والأدلّة.

نسب أبو البركات الأنباري (ت 577هـ) إلى النحويين ، البصريين والكوفيين رأيين في المسألة (35) من كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين، والكوفيين) وهي مسألة (هل تكون " إلَّا " بمعنى الواو؟) [1] :

الرأي الأول : وهو الرأي القائل بأنَّ (إلاّ) تأتي بمعنى الواو ، ونسب هذا الرأي إلى الكوفيين .

الرأي الثاني : وهو الرأي القائل بأنَّ (إلاّ) لا تأتي بمعنى الواو ، ونسب هذا الرأي إلى البصريين .

وقد ساق الأنباري أدلّة الفريقين وحججهما وفق الآتي:

1:1 أدلّة الكوفيين :

ساق أبو البركات الأنباري على ألسنة الكوفيين شواهد يحتجون بها للدلالة على صحة ما ذهبوا إليه من أنَّ (إلاّ) تأتي بمعنى الواو فذكر أنَّ شواهدهم على ذلك كثيرة ومنها قوله تعالى: ((**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْهُم**)) (البقرة:١٥٠) إذ قدّروها : ولا الذين ظلموا . ومن ذلك قوله تعالى : ((**لَا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ القَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ**)) (النساء:١٤٨) أي : ومن ظُلِمَ لا يُحبُّ أيضاً الجهر بالسوء منه .

ومنه أيضاً قول : عمرو بن معد يكرب :

وكـــــلُّ أخٍ مُفَارِقُـــهُ أخُـــوهُ لَعَمْـــرُ أبِيـــكَ إلاّ الفَرْقَـــدَانِ

أي : والفرقدان .

1 : 2 : أدلّة البصريين :

ذهب البصريون إلى أن (إلاّ) لا تكون بمعنى الواو واحتجّوا لذلك بأن (((إلاّ) للاستثناء، والاستثناء يقتضي إخراج الثاني من حكم الأول ، والواو للجمع ، والجمع يقتضي إدخال الثاني في حكم الأول ؛ فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر)) [2] . ونلحظ مما سبق أنّ الخلاف بين المدرستين في هذه المسألة متعلّق بالمعنى الدلالي للأداة (إلَّا)، وما يترتّب على ذلك الاختلاف من توجيه للمعنى وفقاً لمقتضيات التغيير [3] .

2: جواب أبي البركات عن أدلّة الكوفيين .

ردَّ أبو البركات الأنباري [4] على أدلة الكوفيين وحججهم بجملة ردود ؛ فأما احتجاجهم بقوله تعالى : ((**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُم حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْهُم**)) (البقرة:١٥٠) فرأى أنَّه لا حجة لهم فيه ؛ إذ إنَّ (إلاّ) هنا استثناء منقطع ، والتقدير : لكن الذين ظلموا يحتجون بغير حجة . وذكر الأنباري أنَّ نحو هذا – أي الاستثناء المنقطع – كثير في كتاب الله وكلام العرب ، فأما في كتاب الله ، فكقوله تعالى : ((**مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ**

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.135

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

الظَّنِ)) (النساء: ١٥٧) معناه : لكن يتَّبعون الظَّنَ [5] ، وقوله تعالى: **((وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأعلى))** (الليل: ١٩ – ٢٠) معناه : لكن يبتغي وجهَ ربِّه الأعلى ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : **((ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِيْنَ إِلَّا الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ))** (التين: ٥ – ٦) والمعنى : لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر . وأمّا كلام العرب ، فكقول النابغة الذبياني :

وَقَفْتُ فِيْهَا أُصَيْلَالاً أُسَائِلُهَا أَعْيَتْ جَوَابَاً ، وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إِلاّ الأَوَارِيَّ لَأْيَاً مَا أُبَيِّنُهَا وَالنُّؤْيُ كَالحَوْضِ بِالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ

ومنه قول جران العود :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيْسُ إِلاّ اليَعَافِيْرُ وَإِلاّ العِيْسُ

ويحمل على ذلك أيضاً ما احتجُّوا به من قوله تعالى : **((لَا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ القَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ))** (النساء:١٤٨) ؛ فمعناه : ((لكن المظلوم يجهر بالسوء ؛ لما يلحقه من الظلم ، فيكون في ذلك أعذرَ ممن يبدأ بالظلم)) [6] . وعلى ذلك أيضاً يحمل قول الشاعر :

وكُلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلاّ الفَرْقَدَانِ

والتقدير : لكن الفرقدان ؛ فإنّهما لا يفترقان ، لو سلَّمنا بزعمهم أنَّ هذه الأشياء أبدية في بقائها [7] .

ورأى الأنباري احتمالاً آخر يمكن من خلاله تفسير ارتفاع ما بعد (إلاّ) في الشاهد السابق وهو أن تكون (إلاّ) في معنى (غير) فيرتفع ما بعدها ؛ إذ يكون المعنى : كلُّ أخٍ غيرُ الفرقدين مفارقُهُ أخوه . واستشهد لرأيه بقوله تعالى : **((لَوْ كَانَ فِيْهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا))** (الأنبياء: ٢٢) إذ التقدير : لو كان فيهما آلهة غيرُ الله [8] .

3: فَحْص القول في المسألة.

قبل الخوض في مراجعة أقوال النحويين في هذه المسألة، نحاول التحقّق من قضيةٍ ما ومناقشتها، وهي : ماذا يقصد أبو البركات من كلمة (الكوفيون) الذين نسب إليهم القول بأنَّ (إلاّ) تأتي بمعنى الواو ؟ فهل هذه النسبة عامة ومطلقة لكل الكوفيين ، أو لبعضهم ، أو ربما قصد نحوياً واحداً ثمَّ عمّ فيه النسبة ؟

أقول : ذكر محقِّق كتاب الإنصاف (محمد محيي الدين عبد الحميد) في هامش الكتاب عند التطرّق لهذه المسألة (هل تكون ((إلاّ)) بمعنى الواو ؟) [9] جملة من المصادر منها مغني اللبيب ، دليلاً يمكن الرجوع إليه في هذه المسألة . وإذا ما رجعنا إلى المصدر المذكور سنجد أنَّ ابن هشام (ت 761هـ) ينسب القول في هذه المسألة إلى ثلاثة علماء ، فيقول متحدِّثاً عن (إلاّ) : ((والثالث أنْ تكون عاطفة بمنزلة الواو في التشريك في اللفظ والمعنى ، ذكره الأخفش والفرَّاء وأبو عبيدة ، وجعلوا منه قوله تعالى: **((لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُم حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْهُم))** ... أي ولا الذين ظلموا)) [10] . وهذا ما قال به المرادي (ت 749 هـ) من قبل ، ونقله السيوطي (ت 911هـ) نصّاً عنه [11] .

فابن هشام يذكر أنَّ الفراء (ت 207هـ) - وهو نحوي كوفي- يقول بمجيء (إلاّ) بمعنى الواو ، فهو يوافق الأنباري فيما ذهب إليه ، إلاّ إنَّه يصطدم معه في قوله أنَ اثنين من أقدم نحاة البصرة يقولان بهذه المسألة في حين ذكر الأنباري عدم قولهم بها . فما حقيقة هذه الأقوال ؟

نبدأ بالفراء الذي يمثِّل الكوفيين برأيه ، فقد تعرّض الفراء لهذه المسألة في غير موضع من كتابه ، ولم نجده يقول بما نُسب إليه و إلى أهل مذهبه ، بل إنَّه لينكر ذلك أشد الإنكار ويردّه على قائله [12] ؛ إذ يقول عند كلامه على الآية: **((لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُم حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْهُم))** : ((وقد قال بعض النحويّين: إنَّ (إلاّ) في هذا الموضع بمنزلة الواو ؛ كأنَّه قال : ((لئلّا يكون للناس عليكم حجة)) ولا الذين ظلموا . فهذا صواب في التفسير، خطأ في العربية)) [13] . ويقول في هذه الآية في موضع آخر من كتابه : ((ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا ، لأني لا أجيز قام الناسُ إلاّ عبدُ اللهِ ، وهو قائم ؛ إنّما الاستثناء أنْ يخرج الاسم الذي بعد إلاّ من معنى الأسماء قبل إلاّ)) [14] .

فابن هشام الذي اعتمد على الأنباري توهّم في هذه المسألة كثيراً ، فالفراء لم يقل بكون (إلاّ) بمنزلة الواو في هذا الموضع وأمثاله . ولعلّ استطراد الفراء في بيانه متى تأتي (إلاّ) بمعنى الواو هو الذي جعل ابن هشام ومن قبله أبو البركات يقعان في هذا الوهم ؛ إذ ساق الفراء لمجيء (إلاّ) بمعنى الواو شرطاً لخّصه بقوله : ((إنَّما تكون إلاّ بمنزلة الواو إذا عطفتها على استثناء قبلها ، فهنالك تصير بمنزلة الواو ؛ كقولك : لي على فلان ألف إلاّ عشرة إلاّ مئة ، تريد : (إلاّ) الثانية أنْ ترجع على الألف ، كأنَّك أغفلت المئة فاستدركتها فقلت : اللهم إلاّ مئة

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.135

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

. فالمعنى له عليّ ألف ومئة ، وأنْ تقول : ذهب الناس إلاّ أخاك ، اللهم إلاّ أباك . فتستثني الثاني : تريد : إلاّ أباك وإلاّ أخاك ؛ كما قال الشاعر :

مـــا بالمدينـــةِ دارٌ غيـــرُ واحـــــدةٍ دارُ الخليفـــةِ إلاّ دارُ مَرْوانـــــــا

كأنَّه أراد : ما بالمدينة دار إلاّ دار الخليفة ودار مروان)) [15] . ثم ينتهي الفراء بقوله : ((فإنْ وُضعت (إلاّ) في هذ الموضع صلحت وكانت (إلاّ) في تأويل ما قالوا . فأمّا مجرّدة قد استثني قليلها من كثيرها فلا)) [16] .

نخلص مما سبق إلى أنَّ الفراء أحد شيوخ الكوفة لا يقول بمجيء (إلاّ) بمعنى الواو في الآية المذكورة وأمثالها ، ويضع لمجيئها بهذا المعنى شرطاً لم يذكره ابن هشام ، ولم يشر إليه أبو البركات في هذه المسألة لا من قرب ولا من بعد .

وعلينا أنْ نشير إلى أنَّ الفراء ليس هو النحوي الكوفي الوحيد الذي لم تثبت صحة نسبة المسألة إليه ، فقد نقل عن الكسائي (ت 189هـ) رأيه في المسألة في البيت القائل :

وكـــــلُّ أخٍ مُفَارِقُـــهُ أخُـــوهُ لَعَمْـــرُ أبِيـــكَ إلاّ الفَـرْقَـــــدَانِ

إذ ذهب إلى أنَّ أصله : إلاّ أنْ يكون الفرقدان [17] . ولم يقل بمعنى الواو في (إلاّ).

من هنا يتّضح لنا أنَّ شيخي الكوفة ونحويّيها ؛ الفراء والكسائي لم يجدا من الشواهد التي ساقها أبو البركات ومن تابعه كأبي البقاء العكبري (ت 616هـ) [18] وابن هشام (761هـ) [19] والمرادي (749هـ) [20] على أنَّها من احتجاج الكوفيين على هذه المسألة ، ما ينسب إليهما .

أما البصريّان الأخفش الأوسط (ت 215هـ) وأبو عبيدة (ت 210هـ) ، فالأول لم يقل بأنَّ (إلاّ) في قوله تعالى: **((لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُم حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْهُم))** بمنزلة الواو كما ذكر ابن هشام لكنه قال : ((فهذا بمعنى ((لكن)))) [21] ، ثمّ قال : ((وتكون ((إلاّ)) بمنزلة الواو : نحو قول الشاعر :

وَأرَى لَهَـــا دَارَاً بِأغْـــدِرَةِ السَّيْـ دَانِ لَـــمْ يَـــدْرُسْ لَهَـــا رَسْـــــمُ
إلاَّ رَمَـــــادَاً هَامِـــــدَاً دَفَـــعَتْ عَنْـــهُ الرِّيَـــاحَ خَوَالِـــدٌ سُحْـــمُ

أراد : أرى لها داراً ورماداً)) [22] . فالأخفش دقيق في كلامه فظاهر كلامه أنَّ (إلاّ) تخرج إلى معانٍ منها (لكن) كما في الآية الكريمة ، ومنها (الواو) كما في البيتين السابقين ، فهو – إذن – لم يجعل (إلاّ) في الآية السابقة مما يأتي بمنزلة الواو وهذا مخالف لقول ابن هشام ، كما أنَّه قال في نهاية الأمر بمجيء (إلاّ) بمعنى الواو – وإنْ كان في غير الآية التي ذُكرت - وهذا مخالف لزعم الأنباري بعدم قول البصريين بذلك .

أمّا أبو عبيدة فقد قال في قوله تعالى : **((لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُم حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْهُم))**: ((موضع "إلاّ" ها هنا ليس بموضع استثناء ، إنما هو موضع واو الموالاة ، ومجازها : لئلا يكون للناس عليكم حجة ، وللذين ظلموا ، وقال الأعشى :

إلاّ كـخَـــارِجَةَ المكـــلَّفِ نفسَـــــه وَابْنَـــي قَبِيصـــةَ أنْ أغِيْـــبَ وَيَشْهَـــدَا

ومعناه : وخارجةَ ، وقال عَنز بن دَجاجةَ المازنيّ :

مَنْ كـــان أسْرَعَ في تَفَـــرُّقِ فـــالجٍ فلبُونُـــهُ جَرِبَـــتْ معـــاً وأغـــدَّتِ
إلاّ كنـــاشِـــرَةَ الـــذي ضَـــيَّعْتُـــمُ كالغُصْـــنِ في غُلَـــوَائِـــــهِ المُتَنَـــبِّتِ

... يريد : وناشرَةَ الذي ضَيَّعْتُمُ)) [23] .

فأبو عبيدة يقول بمجيء (إلاّ) بمعنى الواو ، مع إنَّه بصريّ ، فكيف الحال وقول الأنباري بنكران البصريين ذلك ، ولدينا لغويّان بصريّان يقولان خلاف ما ادّعاه ؟

عطفاً على ما سبق يمكن أنْ نخلص إلى أنَّ الفراء ينكر أنْ تكون (إلاّ) بمعنى الواو في الآيتين اللتين زعم أبو البركات أنَّهما من أدلة الكوفيين على مذهبهم ، كما أنَّ الفراء وضع شرطاً لمجيء (إلاّ) بمعنى الواو ، أما البيت : لعمر أبيك إلاّ الفرقدان ، فلم يشر إليه الفراء ، وأشار إليه الكسائي ولم يقل إنَّه بمعنى الواو . فالفراء لم يقل بهذه المسألة فلا ندري : لماذا نُسب القول فيها إليه ، وأطلق الأنباري النسبة فيها إلى نحاة الكوفة جميعاً ولم يقيِّد قوله مما أوقع النحاة المتأخرين في وهم نسبة القول في هذه المسألة في الآيتين المذكورتين إلى الفراء [24] بل إلى الكوفيين جميعاً [25] .

والأمر الآخر هو أنَّ أبا البركات ذكر أنَّ البصريين ينكرون القول بمجيء (إلاّ) بمعنى الواو ، وهذا ما وجدنا خلافه عندما رأينا أبا عبيدة والأخفش البصريَّين يقولان بها وإنْ كان الأخفش يؤيّد بشاهد غير الآيتين المذكورتين ، إلا إنَّه يقول بها في نهاية الأمر .

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.135

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
سبتمبر 2020 Volume (15)
العدد (15) September 2020
IJOHSS

نستنتج – إذاً – أنَّ مسألة (مجيء " إلاّ " بمعنى الواو) لا تصلح أنْ تكون مسألة خلافية بين المدرستين ؛ البصرية والكوفية ؛ لأنَّ الكوفيين لا يقولون بها ولو سلَّمنا بقولهم فإنَّ البصريين كالأخفش وأبي عبيدة قالوا بها أيضاً . إنَّنا لم نجد من الكوفيين من قال بها – خلا الفراء الذي وضع لمجيئها شرطاً – غير ابن فارس (ت 395هـ) الذي استشهد للمسألة بالبيتين اللذين استشهد بهما الأخفش :

وَأرَى لَهَـــا دَارَاً بِأعْـــدِرَةِ السَّيْـــ دَانِ لَـــمْ يَـــدْرُسْ لَهَـــا رَسْـــمُ
إلاَّ رَمَـــادَاً هَـــامِـــدَاً دَفَـــعَتْ عَنْـــهُ الرِّيَـــاحَ خَوَالِـــدٌ سُحْـــمُ[26]

وهذا يعني أنَّ مصدر ابن فارس - وهو متأخّر - مصدر بصري ، لتوافق الحجة والدليل ، وهب أنَّ مصدر ابن فارس ليس بصرياً ، فكيف يمكن تجاهل مذهب البصريين الذي يقول بهذه المسألة أيضاً ؟

إنَّ منهج أبي البركات أصابه الخلل والاضطراب في هذه المسألة مما أوقع المتأخرين من بعده في الوهم نفسه كما ذكرنا ، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على نقل النحاة والمفسرين بعضهم من بعض من دون تحقيق وتمحيص . ومهما يكن من أمر ، فإنّي أرى أنْ لا حجة للفريقين - القائلَين بهذه المسألة – فيما استدلّوا به ، وإنَّما تُؤوّل هذه المسألة على الظاهر [27] فلا داعي لهذا التكلُّف والتعمُّق المبالغ فيهما ؛ فعدمُ التأويل أولى من التأويل ، وشواهد الأنباري التي ساقها على أنَّها حجج الكوفيين في هذه المسألة ، يمكن أنْ تُحمل على ظاهرها ، فيكون الاستثناء فيها منقطعاً و(إلاّ) بمعنى (لكنْ) [28] .

ختام الفَحْص

من خلال المراجعة والتجوال في أسلوب أبي البركات الأنباري في الكتابة وجمع المادة والمصادر، نخرج بما يأتي ذكره:

- أنّ الرجل لا يحبّذ ذكر النحويّ الذي يأخذ عنه الرأي أو المذهب، بل هو يكتفي بنسبة قوله إلى المذهب كلّه، بصرياً كان أو كوفياً. والمسألة التي تناولناها في دراستنا واحدة من المسائل التي ينطبق عليها ذلك الأسلوب؛ فهو يقول بأن الكوفيين يقولون بمجيء "إلا" بمعنى الواو، وعند تتبعنا للنحاة الكوفيين لم نجد من قال بذلك خلا الفراء - الذي وضع لمجيئها شرطاً- الذي لم يتطرق الأنباري لذكر اسمه أو الإشارة إليه لا من قريب ولا من بعيد.
- ضعف الدقة والتمحيص في القول المنقول، وعدم التصريح أو الإشارة إلى المنقول عنه أو مصدره، فضلاً على قلة الإلمام بالمصادر البصرية فضلاً على الكوفية، مما أوقعه في كثير من التخبط والتشابك بين الآراء مما يجعل المجال فسيحاً للتناقض والوهن فيما ينسب من أقوال. وقد رأينا شاهد ذلك في المسألة موضوع البحث فيما نقل عن أهل الكوفة والبصرة.
- المطّلع على آراء أبي البركات، والمتمعّن فيها، يلمس ميولاً واضحاً لأبي البركات تجاه البصريين [29] ، لذلك نجده يردّ في أغلب مسائله على الكوفيين ويحاججهم بما يراه من دليل، في حين أنه يتجاهل أو يجهل آراء البصريين التي قد تتوافق مع آراء الكوفيين كما في هذه المسألة، إذ تجاهل أبو البركات - أو جهل - أنّ من البصريين من يقول بقول الكوفيين، لكنه لم يذكرهم ميلاً منه لأهل البصرة، أو إنه لم يكون مطّلعاً عن كثب على آرائهم.
- مهما يكن من أمر، فإنّا نميل إلى أن مسألة (مجيء "إلا" بمعنى الواو) ليست خلافية؛ لعدم تصريح الكوفيين الذين نسب أبو البركات القول لهم بها . أما وضعها ضمن المسائل الخلافية فقد يعود إلى سوء فهم الآراء نتيجة عدم اكتمال الصورة بسبب الجهل بالنقل، ونقص الأدلة، وعدم اعتماد المؤلف على كتب النحاة أنفسهم والموازنة بينها بشكل مباشر. وإذا سلّمنا بكونها من المسائل الخلافية، فكيف تكون كذلك وكلا الطرفان يقولان بها، إذ يذكرها أبو عبيدة والأخفش فيما أورداه من شواهد تختصّ بها؟ ومن ثمّ فإن كثيراً من المسائل الخلافية هي في الحقيقة بحاجة إلى مراجعة وتوثيق وتدقيق في نسبتها والقائلين بها ومصادرهم، كيما يتخلّص النحو العربي من كثير من الوهم الذي ينتقل بعدوى التخبط وغياب الدقة والتحقيق في المصادر المعنية نفسها، لا الاعتماد على من قال عنها أو نقل.

ومن ثمّ، فإنّ ما سبق ذكره لا يقلّل من شأن كتاب الإنصاف وما ورد فيه، فهو كتاب قد أطبقت شهرته الآفاق، وتقبّله العلماء بقبول حسَن، إلا أن كلّ عمل بشري لا يخلو من هنات أو مما يؤخذ عليه، إذ لا عصمة إلا لذوي العصمة . والحمد لله ربّ العالمين.

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.135

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

مظانّ البحث ومراجعه

1. ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة : عبد اللطيف بن أبي بكر الشَرجيّ الزبيدي (ت 802هـ) ، ت : د. طارق الجنابي ، عالم الكتب – بيروت ، ط1 / 1987م .
2. ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : د. محيي الدين توفيق إبراهيم ، دار الكتب – جامعة الموصل / 1979م .
3. الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – بيروت / 1988م .
4. آثار الخلاف النحوي : د. حوراء عبد العزيز سفر، عالم الكتب – القاهرة ، ط1/ 2019.
5. أسباب اختلاف النحاة من خلال كتاب الإنصاف لابن الأنباري: نوري حسن حامد المسلاتي، دار ابن حزم- بيروت، ط1/ 2010.
6. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين ، والكوفيين : أبو البركات الأنباري (ت 577هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر .
7. البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) ، دار الفكر – بيروت / 1992م .
8. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين : أبو البقاء العكبري (ت 616هـ) ، ت : د. عبد الرحمن العثيمين ، الدار اللبنانية – بيروت ، ط1 / 2011م .
9. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) ، ضبط وتعليق : محمود شاكر ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، ط1 / 2001م .
10. الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ) ، دار الكتب المصرية – مصر ، ط2 / 1954م .
11. الجنى الداني في حروف المعاني : حسن بن قاسم المرادي (ت 749هـ) ، ت : طه محسن ، مؤسسة دار الكتب – جامعة الموصل / 1975م .
12. حاشية الصبان على شرح الأشموني : محمد بن علي الصبان الشافعي (ت 1206 هـ) ، ضبط وتصحيح : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1 / 1997 م .
13. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ) ، ت : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط4 / 1997م .
14. الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف : محمد خير الحلواني ، دار القلم العربي – حلب.
15. شرح الكافية الشافية : ابن مالك الشافعي (ت 672هـ) ، ت : علي محمد معوّض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1 / 2000 م .
16. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس (ت 395هـ) ، ت : مصطفى الشويمي ، مؤسسة أ. بدران – بيروت – لبنان / 1963م .
17. الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ) ، ت : عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2 / 1979م .
18. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري (ت 528هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت / 1986م .
19. مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ) ، تعليق : د. محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي – القاهرة .
20. مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت / 1379هـ .
21. معاني القرآن : أبو الحسن سعيد بن مسعدة (الأخفش الأوسط) (ت 215هـ) ، ت : د. فائز فارس ، الصفاة – الكويت ، ط2 / 1981م .
22. معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء (ت 207 هـ) ، عالم الكتب – بيروت ، ط3 / 1983م .

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.135

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

23. معاني القرآن : علي بن حمزة الكسائي (ت 189هـ) ، أعاد بناءه وقدّم له : د. عيسى شحاته عيسى ، دار قباء – القاهرة / 1998م .
24. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) ، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني – القاهرة .

References

1. The Al-Nusra Coalition in the Difference of Approaches to Kufa and Basra: Abd al-Latif bin Abi Bakr Al-Sharji Al-Zubaidi (d. 802 AH), T.: d. Tariq Al-Janabi, The World of Books - Beirut, 1st Edition / 1987 AD.
2. Ibn Al-Anbari in his book Al-Insaf in matters of dispute between the Basrian and Kufian grammarians: Dr. Mohieddin Tawfiq Ibrahim, Dar Al-Kutub - University of Mosul / 1979.
3. Perfection in the Sciences of the Qur'an: Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH), T.: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, The Modern Library - Beirut / 1988 AD.
4. Effects of the grammatical dispute: Dr. Hawraa Abdel Aziz Safar, The World of Books - Cairo, 1st Edition / 2019.
5. Reasons for the difference of grammarians through Ibn Al-Anbari's book Al-Insaf: Nuri Hassan Hamed Al-Musalati, Dar Ibn Hazm - Beirut, Edition 1/2010.
6. Equity in matters of disagreement between grammarians: Al Basri, and Kufians: Abu Al Barakat Al Anbari (d. 577 AH), The Great Commercial Library - Egypt.
7. The surrounding sea: Abu Hayyan Al Andalusi (d.745 AH), Dar Al-Fikr - Beirut / 1992 AD.
8. Explanation of the doctrines of the Basrian and Kufian grammarians: Abu al-Buqa 'al-Akbari (d.616 AH), T.: Dr. Abdul Rahman Al-Uthaimin, Lebanese House - Beirut, 1st Edition / 2011 AD.
9. Jami al-Bayan on the interpretation of the verse of the Qur'an (Tafsir al-Tabari): Abu Jaafar Muhammad ibn Jarir al-Tabari (d. 310 AH), seized and commented by: Mahmoud Shaker, House of Revival of Arab Heritage - Beirut - Lebanon, 1/2001 AD.
10. The Whole to the Rulings of the Qur'an: Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad al-Ansari al-Qurtubi (d. 671 AH), Dar al-Kutub al-Masriya - Egypt, 2nd Edition / 1954 AD.
11. Al-Jana in Literature Al-Maani: Hassan bin Qasim Al-Muradi (d. 749 AH), translated by Taha Mohsen, Dar Al-Kutub Foundation - University of Mosul / 1975 AD.
12. Al-Sabban's commentary on the explanation of Al-Ashmouni: Muhammad bin Ali Al-Sabban Al-Shafi'i (d.1206 AH), corrected and corrected by: Ibrahim Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1/1997 AD.
13. The Treasury of Literature and the Heart of the Bab Lisan Al-Arab: Abd al-Qadir bin Omar al-Baghdadi (d. 1093 AH), T: Abd al-Salam Muhammad Harun, al-Khanji Library - Cairo, 4th Edition / 1997 AD.
14. The grammatical dispute between the Basrians, the Kufians, and Kitab al-Insaf: Muhammad Khair al-Halawani, Dar al-Qalam al-Arabi - Aleppo.

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.135

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
سبتمبر 2020 Volume (15)
العدد (15) September 2020
IJOHSS

15. Explanation of Al-Kafia Al-Shafi'i: Ibn Malik Al-Shafi'i (d. 672 AH), T.: Ali Muhammad Moawad, and Adel Ahmad Abdul-Mawgid, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st Edition / 2000 AD.
16. Al-Sahbi on the jurisprudence of the language and Sunan of the Arabs in her speech: Ahmed bin Faris (d. 395 AH), T.: Mustafa Al-Shuwaimi, founder of a. Badran - Beirut - Lebanon / 1963 AD.
17. The book: Abu Bishr Amr bin Othman bin Qanbar (d.180 AH), T.: Abd al-Salam Muhammad Harun, the Egyptian General Book Authority, 2nd Edition / 1979 AD.
18. Exposing the facts of the ambiguities of revelation and the eyes of gossip in the faces of interpretation: Al-Zamakhshari (d.528 AH), Arab Book House - Beirut / 1986 AD.
19. The metaphor of the Qur'an: Abu Ubaidah Muammar bin Al-Muthanna (d. 210 AH), Commentary: Dr. Muhammad Fouad Sezkin, Al-Khanji Library - Cairo.
20. Majma 'al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an: Al-Fadl bin Al-Hassan Al-Tabarsi (d. 548 AH), House of Revival of Arab Heritage - Beirut / 1379 AH.
21. The meanings of the Qur'an: Abu Al-Hasan Saeed bin Masada (Al-Khufsh Al-Awsat) (d. 215 AH), T.: Dr. Faiz Faris, Safat - Kuwait, 2nd Edition / 1981 AD.
22. The meanings of the Qur'an: Abu Zakaria Yahya bin Ziyad al-Farra (d. 207 AH), The World of Books - Beirut, 3rd Edition / 1983AD.
23. The meanings of the Qur'an: Ali bin Hamzah al-Kasai (d.189 AH) rebuilt it and presented to him: Dr. Easa Shehata Issa, Quba House - Cairo / 1998 AD.
24. Mughni Al-Labib, on the books of Al-A`rib: Ibn Hisham Al-Ansari (d. 761 AH), T.: Muhammad Muhyiddin Abdel-Hamid, Al-Madani Press - Cairo.

الهوامش

(1) ينظر : الإنصاف : 1/ 266 .
(2) الإنصاف : 1 / 269 .
(3) ينظر: آثار الخلاف النحوي / 110.
(4) ينظر : م . ن . : 1 / 269 – 272 .
(5) ينظر : الكتاب : 2 / 322 .
(6) الإنصاف : 1 / 271 .
(7) ينظر: الإنصاف : 1/ 271 - 272 .
(8) ينظر : شرح الكافية الشافية : 1 / 314 ، وحاشية الصبان : 2 / 212 .
(9) ينظر: الإنصاف : 1/ 266 .
(10) مغني اللبيب : 1 / 73 .
(11) ينظر : الجنى الداني / 479 ، والإتقان في علوم القرآن : 2/ 160 .
(12) القائل بهذا أبو عبيدة أحد نحاة البصرة ، وسيأتي الكلام على ذلك ، ينظر : الخلاف النحوي/252 .
(13) معاني القرآن للفراء : 1 / 89 .
(14) م . ن . : 2 / 287 .
(15) م . ن . : 1/ 89 -90 ، وينظر : مجمع البيان : 1 / 232 ، وابن الأنباري / 193 .
(16) م . ن . : 2/ 287 .
(17) ينظر : خزانة الأدب : 3 / 423 .
(18) ينظر : التبيين / 403-404 .
(19) ينظر : مغني اللبيب : 1/ 73 .

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.135

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
سبتمبر 2020 Volume (15)
العدد (15) September 2020
IJOHSS

(20) ينظر : الجنى الداني / 479 .
(21) معاني القرآن للأخفش : 1 / 152 .
(22) م . ن . : 1 / 152 .
(23) مجاز القرآن : 1 / 60 – 61 ، وينظر : مجمع البيان : 1 / 232 .
(24) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 6 / 4 ، والجنى الداني / 479 ، والإتقان في علوم القرآن : 2/ 160 .
(25) ينظر : تفسير الطبري : 2 / 43 ، وائتلاف النصرة / 174 – 175 .
(26) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة / 135 .
(27) ينظر : الجنى الداني / 479 .
(28) ينظر : تفسير الطبري : 2 / 42 -43 ، والكشاف : 1 / 206 ، ومجمع البيان : 1 / 232 ، والتبيين / 404 – 405 ، والبحر المحيط : 2 / 43 .
(29) ينظر: أسباب اختلاف النحاة / 30 – 56 .

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.135